عود في ملتهم و قال هذا الكلام عند الكفار رسل
اعتقادا قبل النبوة اي لاعلم لهم بما جاءهم من عند الله
هذا الذي رايته منصوصا عن مفسري السلف واما من بعدهم كابن الانباري والزجاج وابن الجوزي
والثعلبي والبغوي فحملوا لتعودن وقولوا ذلك على معنى لتصيرن ولتدخلن وجعلوه بمعنى الابتدا
لا بمعنى الرجوع الى الشيء قد كان وانشدوا على ذلك مما اشتهر عنهم في تفاسيرهم كقول الشاعر

فان تكن الايام احسن مرة ... الي لقد عادت لهن ذنوب

وكقوله

وما المرء الا كالشهاب وضوءه ... يحور رمادا بعدما كان ساطعا

وقول الهذلي

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

وامثال ذلك مما يدل على الابتداء وبعضهم ابقاه على معناه وقال هو التغليب لان قومهم كانوا في
ملة الكفر فغلب الجمع على الواحد لكن تعقب ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فقال
واما التغليب فلايات في سورة ابراهيم واما جعلها بمعنى الابتداء والصيرورة فالذي في الايات
الكريمات عود مقيد بالعود في ملتهم فهو كقول النبي صلى الله عليه وسلم العائد في هبته كالعائد
في قيئه وقوله ومن كان يكره ان يعود في الكفر بعد اذ انقذه الله منه وقوله تعالى الم تر الى
الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه فالعود في مثل هذا الموضع عود مقيد صريح بالعود
الى امر كان عليه الرسل واتباعهم لا يحتمل غير ذلك ولا يقال ان العود في مثل هذا يكون عودا مستدا
وما ذكر من الشواهد افعال مطلقة ليس فيها ان عاد تكذا ولا عاد فيه قال ولهذا يسمى المرتد
عن الاسلام مرتدا وان كان عاد على الاسلام ولم يكن كافرا عند عامة العلماء قال واما قولهم ان
شعيبا والرسل ما كانوا في ملتهم قط وهي ملة الكفر فهذا فيه نزاع مشهور وبكل حال فهو خبر يحتاج
الى دليل عقلي وليس في ادلة الكتاب والسنة والاجماع ما يخبر بذلك واما العقل ففيه نزاع
والذي تظاهر عليه اهل السنة انه ليس في العقل ما يمنع ذلك قال وقال ابو بكر الخطيب البغدادي
قال وقال كثير منهم ومن اصحابنا واهل الحق انه لا يمتنع بعثة من كان كافرا او مصيبا الكبائر قبل
بعثته قال ولا شيء عندنا يمنع ذلك على ما بين القول فيه ثم ذكر الخطيب الخلاف في اصابته الذنوب
بعد البعثة واطال الكلام ثم قال فصل في جواز بعثة من كان مصيبا للكفر والكبائر قبل الرسالة قال
والذي يدل على ذلك امور احدها ان ارسال الرسول وظهور الاعلام عليه اقتضى وذل الاعجاز على
ايمانه وصدقه وطهارة سريرته وكمال علمه ومعرفته بالله وانه مؤد عنه دون غيره لانه
انما يظهر الاعلام ليستدل به على صدقه فيما يدعيه من الرسالة فاذا كان بدلالة ظهورها
عليه الى هذه الحال من الطهارة والنزاهة والاقلاع عما كان عليه لا يمنع بعثته والزام توقيره
وتعظيمه وان وجد منه ضد ذلك قبل الرسالة واطال الكلام ثم قال شيخ الاسلام تحقيق القول في
ذلك ان الله سبحانه وتعالى انما يصطفي لرسالته من كان خيار قومه كما قال الله تعالى الله
اعلم حيث يجعل رسالته وقال الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس وقال ومن نشا بين قوم
مشركين جهال لم يكن عليه نقص ولا غضاضة اذا كان على مثل دينهم اذا كان عندهم معروفا بالصدق
والامانة وفعل ما يعرفون وجوبه واجتناب ما يعرفون قبحه وقد قال تعالى وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا ولم يكن هؤلاء مستوجبين العذاب قبل الرسالة اذا كان لا هو ولا هم يعلمون ما
ارسل به وفرق بين من يرتكب ما يعلم قبحه وبين من يفعل ما لا يعرف فان هذا الثاني لا يذمونه
ولا يعيبونه عليه ولا يكون ما فعله مما هم عليه منفرا عنه بخلاف الاول ولهذا لم يكن في انبياء بني
اسرائيل من كان معروفا بشرك فانهم نشأوا على شريعة التوراة وانما ذكر هذا فيمن كان قبلهم
اما ما ذكره سبحانه في قصة شعيب والانبياء فليس في هذا ما ينفر احدا عن القبول منهم و
كذلك الصحابة رضي الله عنهم الذين امنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم بعد جاهليتهم وكان
فيهم من كان محمود الطريقة قبل الاسلام كابي بكر الصديق رضي الله عنه فانه لم يزل معروفا
بالصدق والامانة ومكارم الاخلاق لم يكن فيه قبل الاسلام ما يعيبونه به والجاهلية كانت

مشتركة

مشتركة فيهم كلهم وقد تبين ان ما اخبر عنه قبل النبوة في القرآن من امر الانبياء ليس فيه ما ينفر
احدا عن تصديقهم ولا يوجب طعن قومهم ولهذا لم يذكر احد من المشركين هذا قادحا في نبوته
ولو كانوا يرونه عيبا لعابوه ولقالوا كنتم انتم ايضا على الحالة المذمومة ولو ذكروا للرسل هذا لقالوا
كنا كغيرنا لم نعرف ما اوحي به الينا ولكنهم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا فقالت الرسل ان نحن الا بشر
مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده قال وقد اتفقوا كلهم على جواز بعثة رسول لم يعرف ما جاءت
به الرسل قبله من امور النبوة والشرائع ومن لم يقر بهذا الرسول بعد الرسالة فهو كافر والرسل قبل الوحي
قد كانت لا تعلم هذا فضلا عن ان تقر به فعلم ان عدم هذا العلم والايمان لا يقدح في نبوتهم بل الله
اذا نبأهم علمهم ما لم يكونوا يعلمون قلت وقوله واتفقوا كلهم يعني اهل السنة والمعتزلة ثم قال
تعالى يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون فجعل انذارهم
بعبادته وحده كانذار يوم التلاق وكلاهما عرفوه بالوحي واستدل على هذا بايات الى ان قال
وقد تنازع الناس في نبينا صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وفي معاني بعض هذه الايات في قوله
تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين وفي قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقوله
ووجدك ضالا فهدى وما تنازعوا في معنى اية الاعراف واية ابراهيم فقال قوم لم يكن النبي
صلى الله عليه وسلم على دين قومه ولا كان ياكل ذبائحهم وهذا هو المنقول عن احمد قال
من زعم انه على دين قومه فهو قول سوء اليس كان لا ياكل ما ذبح على النصب ثم قال الشيخ ولعل
احمد قال اليس كان لا يعبد الاصنام فغلط الناقل عنه فان هذا قد جاء في الاثار انه كان لا يعبد
الاصنام واما كونه لا ياكل من ذبائحهم فهذا لا يعلم انه جاء به اثر واحمد من اعلم الناس بالاثار
قال والشرك حرم من حين ارسل الرسول واما تحريم ما ذبح على النصب فانه ما ذكر في سورة المائدة
وقد ذكر في السور المكية كالانعام والنحل تحريم ما اهل به لغير الله وتحريم هذا انما عرف من القرآن
وقبل القرآن لم يكن يعرف تحريم هذا بخلاف الشرك ثم ذكر الفرق بين ما ذبحوا للحم وبين ما ذبحوه
للنصب لجهة القربة للاوثان قال فهذا من جنس الشرع لا يقال في شريعة بجملها كما كانوا لا يتزوجون
المشركات اولا قال والقول الثاني اطلاق القول بانه صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه وفسر
ذلك بما كان عليه من بقايا دين ابراهيم لا بالموافقة لهم على شركهم وذكر اشياء مما كانوا عليه من بقايا
الحنيفية كالحج والختان وتحريم الامهات والبنات والاخوات والعمات والخالات قال الشيخ وهؤلاء
ان ارادوا ان هذا الجنس مختص بالحنفاء لا يحج يهودي ولا نصراني لا في الجاهلية ولا في الاسلام فهو من لوازم
الحنيفية كما انه لم يكن مسلما الا من امن بمحمد صلى الله عليه وسلم واما قبل محمد فكانوا بني اسرائيل على
ملة ابراهيم وكان الحج مستحبا قبل محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن مفروضا ولهذا حج موسى ويونس وغيرهما
من الانبياء ثم قال ولكن تحريم المحرمات ما يشاركهم فيه اهل الكتاب والختان ما يشاركهم فيه اليهود و
اطال الرد والنقل عن ابن قتيبة رحمه الله وذكر كلام ابن عطية رحمه الله في قوله ووجدك ضالا
فهدى انه اعانه واقامه على غير الطريق التي كان عليها هذا قول الحسن والضحاك قال والضلال يختلف
فمنه القريب ومنه البعيد وكون الانسان واقفا لا يميز بين المهيع ضلال قريب لانه لم يتمسك بطريق
ضالة بل كان يرتاد وينظر قال والمنقول انه عليه السلام كان قبل النبوة يبغض عبادة الاصنام ولكن لم
يكن ينهى عنها نهيا عاما وانما كان ينهى خواصه وساق ما رواه ابو يعلى الموصلي وفيه فاتى النبي صلى
الله عليه وسلم فطاف بالبيت وبين الصفا والمروة وكان عند الصفا والمروة صنمان من نحاس احدهما
اساف والاخرى نائلة وكان المشركون اذا طافوا تمسحوا بهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تمسحهما
فانهما رجس فقلت في نفسي لامسهما حتى انظر ما يقول فمسستهما فقال يا زيد الم تنه وقال البيهقي
عبد الله المقدسي هذا حديث حسن له شاهد في الصحيح والحديث معروف وقد اختصره البيهقي
وزاد فيه قال زيد بن حارثة والذي اكرمه الله انزل عليه الكتاب ما استلم صنما قط حتى اكرمه الله بالذي
اكرمه وفي قصة بحيرا الراهب حين حلف باللات والعزى فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسالني باللات
والعزى فوالله ما ابغضت بغضهما شيئا قط وكان الله قد نزهه عن اعمال الجاهلية فلم يكن يشهد مجامع

Copyright © King Saud University